الاهمية التاريخية لكتب الثقافة العامة

د. فخري حميد رشيد معهد أعداد المعلمين المسائي في المقدادية

المبحث الاول
معنى كتب الثقافة العامة

حين الولوج في هذا الموضوع يتطلب منا قبل كل شيء تحديد مفهوم .الثقافة في اللغة : أسم مصدر من الفعل الثلاثي ثقف ويرد بمعان منها : حذق و فطن ، و يقول أبو بكر الرازي (ت : ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) : ثقف الرجل من طرف صار حاذقاً خفيفاً[١] . أما أبن منظور (ت : ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، يقول : ثقف الشيء وهو سرعة التعلم[٢] .

و يقول فريد وجدي : ثقف يثقف ثقافة : فطن و حذق ، و ثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع اخذه . و ثقفه يثقفه : غلبه في الحذق و التثقيف الحاذق من الفطن[٣] .

أما في الحديث النبوي الشريف : (وهو غلام شاب ثقف لقن) رواة البخاري[٤]أي ذو فطنة و ذكاء .

ومن ادركه و صادفه ، و منها قوله تعالى (و أقتلوهم حيث ثقفتموهم)[٥] . و منها قومه واقام معوجه رمحاً كان ام عوداً ، و فلانا ادبه و هذبه و شاع هذا المعنى عند الناس الان[٦] .

أما في الاصطلاح اهل هذا العصر فقد خصت الثقافة بالتربية التي تنمو بها أسالبي التفكر و العمل بما يلائم الزمان ، و المكان فقد عرفتها الدراسات الحديثة فقد عرفتها الدراسات الحديثة : (بانها جانب من الجوانب الحضارية و المعرفية ارثاً وواقعاً و تشمل بمفهومها الواسع في كل ميادين المعرفة : الفلسفة ، العلوم ، و الفنون ، و القوانين فضلاً عن القيم و العادات و السلوك الانساني)[٧] .

و في تعريف أخر لها : (هي حركة الفعل الانساني في هذا الكون المنطلقة من قيم الامم و الشعوب الفكرية و العائدة اليها بما تحمله من اضافات جديدة)[٨] .

١- الرازي ، محمد بن أبي بكر (ت: ٦٠٦ هـ) : مختار الصحاح ((د. ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م) ٤٨ .

٢ - أبن منظور ، محمد بن مكرم (ت : ٧١١ هـ) : لسان العرب ((د. ط) نسخة مصورة عن مطبعة بولاق و المؤسسة العربية للتأليف و النشر ، مصر ، (د. ت)) ٣٦٢/١٠ مادة ثقف .

٣ - وجدي ، فريد : دائرة معارف القرن العشرين : (ط/٣ ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧١ م) ٧٥٧/٢ .

٤ - البخاري ، محمد بن أسماعيل (ت:٢٥٦هـ) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأبن حجر (ت:٨٥٢هـ) ، تحقيق : عبد العزيز بن باز (ط/١، دار التب العلمية ، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م) عن عائشة (رضي الله عنها : كتاب مناقب الانصار (باب : هجرة النبي (صلى الله عليه و سلم) و أصحابه الى المدينة) ٢٩٣/٧ حديث ٣٩٠٥ .

٥- سورة البقرة : جزء من الاية /١٩١ .

٦ - وجدي : دائرة معارف القرن العشرين :٧٥٧/٢ .

٧- ربيع ، اروى محمد احمد : الهوية الثقافية العربية في مواجهة العلولمة ، (مقالة منشورة في مجلة التربية جامعة جرش ، الاردن ، العدد الاول لسنة ٢٠٠١م)١٥٠ .

٨- الحارثي ، مريسي : العلومة و الهوية (منشورات جامعة فلاديفيا ، عمان ١٩٩٩م)١٥٩ .

البداية الأولى لظهور هذا الفن :

حين نبحث في البدايات الاولى لظهور هذه الادبيات أنها كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمجالس الخلفاء ، و كان السبب في ذلك أن قسماً من الادباء كانوا بحاجة الى التكسب بطريقة أو بأخرى من الخلفاء و الامراء ، و كان هؤلاء الخلفاء و الامراء لا يعطون المال لهم إلا إذا سرهم الحديث أو أعجبهم الشعر في تلك المجالس ، مما يدفع هؤلاء الادباء الى تخير ما يحسن أن يروى في هذه المجالس و يثير أعجاب السلاطين و الامراء و حتى ذوي النفوذ و التجار و كان أبرز تلك الاحاديث ما تحويه من غرابة في بعض الاحيان .

أما السبب الأخر لظهور هذا النوع من الفن و كما يراه مجموعة من الباحثين فهو : (أن هؤلاء العلماء و الادباء قد يعهد اليهم تربية أولاد الخلفاء و الامراء ، فيتخيرون ما هو أنسب لهم مما يتحرزون فيه عن قول الهجر وما يبعث فيهم من مكارم الاخلاق كما فعل المفضل الضبي في مفضلياته)[1] .

رآي الرواد الأوائل في هذا الفن :-

ولعل رائد هذا الاسلوب من التاليف هو الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م) فيصف أحد كتبه عن سبب هذا التنوع في مادة هذه الكتب :

(و أقلبك في الفنون المختلفة و اجعلك لا تخرج من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا الى الحديث المأثور ، ولا تخرج من الحديث إلا الى الشعر الصحيح ، ولا تخرج من الشعر الصحيح الظريف إلا الى المثل السائر الواقع ، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا الى القول في الفلسفة و الغرائب التي صححتها التجربة و أبرزها الامتحان ....)[2] .

و يظهر لنا من خلال هذا النص أن هؤلاء المؤلفين راعوا نفسية القارئ و ميوله حتى يستحوذوا على الامساك بحبل التواصل من فكر القارئ و أفكار الكتاب و عدم ترك الملل الى قلوب المستفيدين من تلك الكتب ، ثم يعود و يصف أسباب وجود هذه الاخبار الظريفة بقوله :

(و إن كنا املننناك بالجد و بالاحتجاجات الصحيحة و المروحة ؛ لتكثر الخواطر ، و تشحذ العقول فانا سننشطك ببعض البطالات ، و بذكر العلل الظريفة ، و الاحتجاجات الغريبة .

فرب شعر يبلغ بفرط غباوة صاحبه ، من السرور و الضحك و الاستطراف ما لا يبلغه احر انوادر و اجمع المعالي وانا استطرف امرين استطرافاً شديداً : احدهما استماع حديث الاعراب ، و الامر الاخر احتجاج متنازعين في الكلام و هما لا يحسنان منه شيئاً فأنهما يثيران من غريب الطيب ما يضحك كل ثكلان و إن تشدد ، و كل غضبان و إن أحرقه لهيب الغضب[3] .

يؤكد الجاحظ بنصه السابق على ضرورة وجود بعض الاخبار الطريفة و الاحتجاجات الغريبة لأنها و كما يرى هو إنها خير علاج للملل الذي يصيب قارئ كتبه وهي لتنشيط فكر القارئ ، لكي يستمر بقراءة كتبه من خلال هذه (البطالات) كما يسميها هو .

١- أبن عبد ربه ، احمد بن محمد (ت : ٣٢٢ هـ) : العقد الفريد ، تحقيق : احمد محمد امين و جماعة ((د. ط) ، مطبعة لجنة التاليف و النشر ، القاهرة ١٩٤٠م) مقدمة احمد امين ، و احمد الزين ، و ابراهيم الايباري .

٢- الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥) : الحيوان ، تحقيق د. يحيى الشامي (ط/١ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦م) ٢٢٢/٥ .

٣- الجاحظ : الحيوان : ٧/٣ .

أما ابن قتيبة (ت : ٢٧٦هـ - ٨٨٩م) فيعلق على موضوعنا هذا بقوله : (و إني كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتاباً في المعرفة . و في تقويم اللسان و اليد حين تبينت شمول النقص و دروس العلم و شغل السلطان عن إقامة سوق الادب حتى عفا و درس)[١].

ومن خلال تعليل ابن قتيبة السابق يظهر لنا ان هذه الكتب قد الف اساساً للترفيه عن السلطان و القضاة و الاعيان مع وجود الحكمة و النصيحة و الارشاد في تلك الكتب و التي كان هدفها اصلاح السلطان و حاشيته ، و كما يقول ابن قتيبه أيضاً : (أن صلاح الزمان بصلاح السلطان بعد توفيق الله بالارشاد و حسن التبصر)[٢] .

و يذكر ابن قتيبة بعض الامور التي تخدش الحياء بقوله : (فإذا مر بك إيها المتزمت حديثاً تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فأعرف المذهب فيه وما أردنا به و أعلم انك ان كنت مستعيناً عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه و محتاج إليه الكتاب لم يعمل لك دون غيرك)[٣] .

و يعد كتاب (الامتاع و المؤانسة) لأبي حيان التوحيدي (ت : ٤٠٠هـ - ١٠٩ م) احد أهم الكتب التي الفت في هذا المجال فنراه يصف الكتاب فيقول : (قد و الله القيت فيه كل ما في نفسي من جد و هزل ، و غث ، و سمين ، و شاحب ، و نظير ، و فكاهة ، و ادب ، و احيجاج ، و اعتذار)[٤] .

و يتضح مما تقدم أن مؤلفي هذا الفن من الكتب قد راعوا المستويات العلمية و الثقافية لجميع طبقات قراء هذه الكتب لأن فيهم العالم و الجاهل ، و العابد ، و الفاسق ، و الشيخ ، و الشاب ، و كان قصد هؤلاء المؤلفين عند ذكرهم بعض الامور التي لا يجوز ذكرها هي : تثقيف ، و نصح ، و ارشاد هؤلاء الجاهلين على جهلهم وردهم الى درب الصلاح من خلال هذه النصوص التي تجمع بين ما يريدون الاطلاع عليه ليشفي مجونهم ومن ثم يقعوا في مصيدة الارشاد و الوعظ من خلال ذكر الايات القرآنية الكريمة و الاحاديث النبوية الشريفة و قصص العباد و الزهاد .

أما الراغب الاصبهاني المتوفي سنة (٥٠٢هـ - ١١٠٨م) فيرى في هذه الكتب : (انها قد ضمنت ذلك طرفا من الابيات الرائقة و الاخبار الشائقة و أوردت فلك و النجم من قطب فانه ظرف ملئ ظرفاً ووعاء حشي جداً و سخفاً ومن شاء وجد ناسكاً يعظه و يبكيه ، و من شاء صادف منه فاتكاً يضحكه و يبكيه)[٥] .

و افضل دليل على هذا الكلام ما حوته كتب الثقافة العامة التي سنتعرض لها في المبحث الثاني أن شاء الله ، و كانت تلك الاخبار الظريفة و الاشعار اللطيفة و النوادر الخفيفة و الحكايات السخيفة في بعض الاحيان و كما يرى الباحث انها ادخلت في هذه الكتب لكي لا يمل

١- أبن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ) : عيون الاخبار ((د. ط ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) ١/ صفحة ي .

٢- أبن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت : ٢٧٦هـ) : عيون الاخبار ((د. ط ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م) ١/ صفحة ي .

٣- المصدر نفسه : ١/ صفحه ل .

٤- ابو حيان التوحيدي ، علي بن محمد (ت : ٤٠٠هـ) : الامتاع و المؤانسة ، تحقيق : احمد امين و احمد الزين ((د.ط) ، مطبعة لجنة التاليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ١٩٣٩م) ١/ صفحة ع .

٥- الراغب الاصبهاني ، ابي القاسم حسين بن محمد (ت : ٥٠٢ هـ) : محاضرات الادباء و محاورات الشعراء و البلغاء ((د.ط) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م) ١/٧ .

قارئها ولا يضجر من مادتها فحين تطالع هذه الكتب تجد بين طياتها حكمة بالغة و أشعار منثورة ، ثم نادرة طريفة و حكاية غريبة .

و يؤكد أبو بكر الطرطوشي المتوفي سنة (٥٣٠هـ - ١١٣٥م) على ان هذه الكتب تمتاز بالخفة و كثرة الفائدة بقوله (خفيفة المحمل كثيرة الفائدة .... يستغني بها الحكيم بدراسته عن مباحثه الحكماء و الملوك عن مشاورة الوزراء)[١] .

أما ابن الجوزي المتوفي سنة (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م) ، فيقول : (ولم ير العبد في الخدم الصريح اوفى من نشر هذه المناقب الطريفة المليحة ، و ان يضم اليها تذكرة ، و نصيحة تصدر عن عقيدة خالصة صحيحة .

نذكر فيها بعض سير الخلفاء الراشدين ، و طرف من طرف مواعظ الصالحين ... التذكير مشروع و النصح من المماليك مسموع ، و قد حملت نملة الى سليمان (عليه السلام) نبقة ، و لو حملت الدنيا ما قضت حقه)[٢] .

يرى أبن الجوزي في النص السابق ان سير الخلفاء الراشدين و الصالحين لابد ان يعمل بها الخلفاء و العلماء و القضاة ؛ لان فيها عقيدة خالصة صحيحة ترشد و تنصح هؤلاء المسؤولين عن المجتمع ؛ لأن بصلاحهم صلاح العباد و البلاد وهو ما يراهسفيان الثوري حين دخل على المنصور و قال له : إني لا عرف رجلاً إذا صلح صلحت الرعية كلها قال من هو ؟ قال : أنت[٣].

و مثال آخر على ذلك النوع من النصائح التي كان يهدف بها ابن الجوزي و غيره ، حين سأل معاوية بعض العارفين ، صف لي الزمان ؟ فقال : أنت الزمان أن تصلح يصلح وان تفسد يفسد[٤].

أما الابشيهي المتوفي سنة (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م) فحين يتكلم عن كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) وهو أحد أهم هذا الفن من الكتب فيقول : (جعلته مشتملاً على كل فن ظريف و استدللت فيه بأيات كثيرة من القرآن الكريم و أحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم (صلى الله عليه و سلم) ، و طرزته بحكايات حسنه عن الصالحين الأخبار .... و رجوت ان يجد مطالعه فيه كل ما يقصد و يريد و جمعت فيه لطائف و طرائف عديدة من منتخبات الكتب النفسية المفيدة و الامثال الشعرية و الالفاظ اللغوية و الرقائق الجدية و النوادر الهزلية و من الغرائب و الدقائق و الاشعار و الرقائق ما تشنف بذكره الاسماع و تقر برؤيته العيون و ينشرح بمطالعته كل قلب محزون)[٥].

ولم تكتف هذه الكتب بما تقدم من فنون بل سعت في مضامينها الى تثبيت أحكام الشرع الاسلامي الحنيف ووصايا النبي الكريم (صلى الله عليه و سلم) و خطب الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)[٦].

١- الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن محمد (ت : ٥٣٠هـ) : سراج الملوك (ط/١، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ، مصر ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) ٥ .

٢- أبن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧ هـ) :

٣- الطرطوشي : سراج الملوك : ٨٣؛ و ابن الازرق ، محمد بن علي (ت:٨٩٦) : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق : د. علي سامي النشار ((د.ط) ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٧م) ٨٥/١ .

٤- أبن قتيبة ، عيون الاخبار : ٥/١ ؛ و ابن عبد ربه : العقد الفريد : ٢٣٠/١ ؛ و أبن الجوزي : المصباح المضيء : ١٨٣/١ .

٥- الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت: ٨٥٢ هـ) : المسطرف في كل فن مستظرف ((د.ط) ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م) ٢/١ .

٦- أبن الجوزي : المصباح المضيء : ٣٣٤/١ .

و ذهب البعض الآخر من مؤلفي هذه الكتب في التحدث عن اجتناب الغيبة و النميمة و تحدثوا ايضاً عن العدل و الانصاف و كذلك تناولوا في تلك الكتب الجود و السخاء و الكرم و كذلك ذكروا البخل و الشح و ذكروا البخلاء و اخبارهم[١].

و يدلو عبد السلام هارون بدلوه في هذا الفن بقوله : (إن هذا الاسلوب فني يستروح به القارئ ، و ينتقل به كما تنتقل النحلة في أزهارها ترشف رحيق هذه لتنال من رحيق تلك ، وهو اسلوب نفسي تعالج به السامة و الملل و يجتذب به نشاط القارئ بما يعرض به من مختلف الصور)[٢] .

إذن يرى الباحث من هذا أن الكتب احتوت علاجاً نفسياً في كلتا حالتيه لهؤلاء الجهلة و للعلماء من جانب آخر للترفيه عن نفوسهم و الاستزاده من العلوم الاخرى التي هي غير اختصاصهم .

و أفضل دليل على أهمية هذا الفن هو قول الامام علي (رضي الله عنه) في هذا المجال : (إن القلوب تمل كما تمل الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة)[٣].

و يرى الدكتور ناجي معروف في تعليله لمواضيع هذه الكتب : (أنها عالجت في وعظها اموراً اجتماعية ، اقتصادية ، علمية ، ثقافية ، قضائية ، ادارية و أخلاقية)[٤].

ومن خلال هذه الآراء المعروضة نجد أن أحد مميزات هذه الكتب أنها كانت بمثابة منهاج للسلاطين و القضاة يستغنون بها عن مشورة الوزراء و النصاح و أدخلت فيها النوادر و الطرائف حتى لا تكون مملة كما ذكرنا سابقاً .

و يرى الباحث مما تقدم أن تعريفاً شاملاً لكتب الثقافة العامة لا يمكن تحديده بهذه البساطة نظراً لتشعب المعرفة الانسانية و تعدد جوانبها و كلها تصب في خدمة المجتمع الانساني و المتمثلة بأفراد ذلك المجتمع الذين هم بحاجة الى تلك القيم و المواعظ و الحكم و النصائح و الطرائف و الاشعار و النوادر و الحكايات و الاساطير الى جانب التاريخ الانساني بكافة تشعباته و التي هي كما يرى الباحث جزء من هذا التاريخ حيث حفظت هذه الكتب لنا مالم تستطيع كتب التاريخ العام او الحوليات أن تحفظه أو أنها اهملته بعدم قناعة مؤلفي هذه الكتب بأهميتها و حين نتصفح الدراسات التاريخية الحديثة بكافة جوانبها السياسية ، الاجتماعية و الاقتصادية نجد أن هذه الدراسات ومن بينها الرسائل الجامعية و البحوث كانت كتب الثقافة العامة أحد أهم المصادر التي استقى منها أو رجع اليها هؤلاء المؤلفون للبحث و التقصي في موضوعات تاريخية ، ولا سيما في مجال الدراسات الاجتماعية و الاقتصادية و حتى النفسية في مجتمع معين .

كما أن هذا الفن يبحث في موضوعات شتى ، و متنوعة في مادتها المعرفية ، الانسانية ، الادبية ، الفلسفية ، التاريخية و الفنية وهي بعبارة أخرى يمكن أن نصفها بأنها موسوعة علمية معرفية عامة ؛ الا انها لا تتخصص في مجال معين من مجالات المعرفة الانسانية و الثقافية وهي كذلك لا تتصف بسمات واحدة ، وإن تعددت طرائق عرضها و تنوعت آراء العلماء فيها.

١- ينظر : الابشيهي : المستطرف : ٣/١ .

٢-هارون ، عبد السلام : التراث العربي ((د.ط) ، المركز العربي للثقافة و العلوم ، بيروت ، (د.ت))٣٢.

٣- عبده ، محمد شرح نهج البلاغة بشرح محمد عبده ((د.ط) ، منشورات المكتبة الاهلية ، بيروت ، (د.ت))٤٥/٤٩ .

٤- أبن الجوزي : المصباح المضيء : ١١/١ مقدمة الاستاذ ناجي معروف .

المبحث الثاني

أهمية كتب الثقافة العامة من الوجهة التأريخية :

لقد أغفل المؤرخون المتقدمون و المتأخرون التطرق لأهمية كتب الثقافة العامة بشكل خاص ، لا سيما أن أغلبهم كان قد عدها كتباً ترفيهية أو كتباً لقضاء وقت الفراغ ولم ينتبهوا الى ان في طياتها مادة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها عند الدراسة و البحث في احد العصور اجتماعياً ، اقتصادياً ، سياسياً ، أدارياً أو قضائياً فحين يعرف أبن خلدون المتوفى سنة (٨٠٨ هـ - ١٤٠٥م) علم التاريخ بقوله : (انه فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في اخلاقهم و الانبياء في سيرهم و الملوك في دولهم و سياساتهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين و الدنيا ، فهو محتاج الى مآخذ متعددة و معارف متنوعة و حسن نظر و تثبت ...)[١] .

لقد ثبت ابن خلدون أهمية علم وفن كتابة التاريخ لما له من فائدة عظيمة للتعرف على أحوال الماضين من الذين سبقونا و قدموا تجاربهم و أفعالهم إن كانت مرضية أو غير مرضية .

ومن هذا نجد أن كتب التواريخ العام و الحوليات أكدت و ابرزت على أظهار الجوانب السياسية بشكل رئيس و اهملت الجوانب الاخرى رغم أن هذه الكتب تمر بألاحداث الاجتماعية و الاقتصادية و الادبية مروراً سريعاً .

أما كتب الثقافة العامة فقد أبرزت تلك الجوانب التي افتقدتها كتب الحوليات و التواريخ العام

و إذا أردنا ان نلم بأهمية كتب الثقافة العامة بشكل عام يتطلب منا ذلك حديثاً يخرج بنا عن موضوع بحثنا و نحن الآن بصدد حصر أهميتها من الوجهة التأريخية فقط .

و يمكن تحديد أهميتها بالنقاط التالية :-

١- حفظت لنا نصوصاً تاريخية عكست الحالة السياسية و الاجتماعية في تلك الحقبة و مثال ذلك ما ذكره الجاحظ المتوفي سنة (٢٥٥هـ - ٨٦٨ م) في كتبه حول أخبار الشعوبيين و مقالاتهم ورده عليهم من خلال عرض بعض أخبارهم في كتبه[٢] .

٢- أرخت لنا بشكل غير مباشر تراجم الملوك و الامراء و السلاطين و الوزراء و الادباء و القضاة و البخلاء ووصل الامر الى أنها ترجمت حتى للمجانين المشهورين ومن أمثال ذلك ما ترجمه أبن الجوزي في كتابه (المصباح المضيء) عن شخصية تدعى سعدون المجنون[٣] .

٣- صورت لنا بشكل تفصيلي غير مباشر الاحداث التي كانت تدور خلف جدران قصور الخلافة من خلال نصوص أدبية او فنية عن طبيعة الجو الذي كان يعيش فيه الملوك و السلاطين و الامراء و حاشيتهم و طريقة ملبسهم و ترفهم و علاقتهم بالادباء و الفنانين بحيث وصفت تلك النصوص العلاقات بين الفئات التي تعيش حول السلطان و مثال على ذلك ما ذكره

١- أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨ هـ) : المقدمة ، تحقيق : خليل شحادة ، ((ط/١) ، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ٩ .

٢- ينظر : الجاحظ : البيان و التبين : ٣:٤٢٦ ؛ و أبن عبد ربه : العقد الفريد : ٣: ١٢٣ .

٣- ينظر : ابن الجوزي : المصباح المضيء : ١٨٩/٢ .

الطرطوشي (ت: ٥٣٠هـ - ١١٣٥م) ، و جعل لها باباً في مقدمات العلماء و الصاحين عند الامراء و السلاطين[١] .

٤- اما الحالة الاقتصادية فقد كان لها حضور متميز في هذه الكتب من خلال النصوص التي ذكرت اخبار التجار و الاسواق و الحالة المعيشية للمجتمع العربي الاسلامي و ذكرت لنا الفئات النقدية و الميكوكات التي كانت مستخدمة في حينها[٢]، و كذلك من خلال ذكر حالات البذخ و الترف عن الميسورين ، و ذكر حالات الفقر و البخل عن بقية طبقات أفراد المجتمع و لكن بصورة طريفة و ذات طابع فكاهي و مثال على ذلك ما ذكره ابن عبد ربه (ت : ٣٢٨هـ - ٩٣٩م) في كتابه عن أخبار البخلاء[٣].

٥- وقد أشتركت هذه الكتب مع كتب التواريخ الاخرى في ذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي فيها نصيحة أو حكمة أو ارشاد و كذلك خطب الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) التي تحث على فعل الخير و الامانة و الالتزام بسيرة النبي(صلى الله عليه وسلم) و خير مثال على ذلك ما ذكره لنا الجاحظ (ت:٢٥٥هـ - ٨٦٨م) من تلك الأخبار[٤].

٦- حوت على نصوص نجد بين طياتها كثيراً من العادات الاجتماعية و التقاليد الموروثة و كذلك الطبائع الانسانية الحميدة و المذمومة و مثال ما ذكره ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ-٨٨٩م) و خصص له كتاب بعنوان الطبائع و الاخلاق المذمومة و تشابه الناس في الطبائع و ذممهم[٥].

٧- بين ثنايا تلك النصوص التي تركتها لنا كتب الثقافة العامة انساب العرب و بطونها و علاقة القبائل بعضها ببعض و مثال ذلك ذكر بطون الاوس و الخزرج و جماهيرها[٦] .

٨- و اجمل ما دونته هذه الكتب انها ذكرت الازياء التي كان يرتديها أفراد المجتمع العربي الاسلامي في جميع المواسم وقد ركزت على ذكر الخفاف و القلانس وما كان يرتديه الملوك و السلاطين و الامراء في المناسبات و الاحتفالات و الاعياد و ذكرت زي القضاة و زي الشرطة و الكُتاب و غيرها من الازياء[٧] .

٩- ذكرت لنا بعض أخبار الملحدين واصحاب الكلام ورد العلماء المسلمين عليها ، و خير مثال على ذلك ما ذكره ابن عبد ربه في كتابه و خصص لها فصل سماه الرد على الملحدين[٨] .

١٠-عكست صورة الحياة التي كان يعيشها الفنانون و طبقاتهم و اخبارهم كذلك دونت اسماء الآلات الموسيقية و المقامات المستخدمة في ذلك العصر و مثال ذلك أخبار مجالس التي كان يعقدها هارون الرشيد في قصر الخلافة[٩] .

١- الطرطوشي : سراج الملوك : ٥١-٧١ .

٢- ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٧ – ٢٢٩ ؛ و ابن الجوزي : المصباح المضيء : ٢٢٣/١ ، ٢٧٠ ، ٣٨٧ ، ٤٩٤ و ح٢٧٢/٢ ، ٥٠٤ و غيرها .

٣- العقد الفريد : ١٣٦/٦ .

٤- البيان و التبين : ٢٥٩/٢ ؛و أبن قتيبة : عيون الاخبار : ٢٣٤/٢ – ٢٣٥ .

٥- عيون الاخبار :١/٤ .

٦- ينظر : أبن عبد ربه : العقد الفريد : ١٠٦/٣ .

٧- الجاحظ : البيان و التبين : ٤٧١/٣ ؛ و ابن عبد ربه : العقد الفريد : ١٧٧/٦ ؛ و الراغب الاصبهاني : محاضرات الادباء : ٣٦٥/٤ .

٨-ينظر : العقد الفريد : ٥/ ١٥٢ .

٩- ينظر : الراغب الاصبهاني : المصدر نفسه : ٧٠٦/٢ ، ٧١١ وما بعدها .

١١-و أشتركت أيضاً بذكر توريخ و قصص الامم الاخرى غير العرب من العجم و الروم و الهند و لسند و مثال ما ذكره الطرطوشي حيث خصص لها باباً سماه جامع من أخبار ملوك العجم و حكاياتهم و أشتمل هذا الباب على خمسة فصول[١] .

١٢-وردت في ثنايا هذه الكتب نصوص تدل على الرسوم و التقاليد التي كانت سائدة في العصور المختلفة . من ذلك تقاليد الكتب المتبادلة و أنواعها سواء بين الخلفاء و الولاة أو بين الخلفاء و الوعاظ ، أو بين الخلفاء و املوك الخارجين و نحو ذلك ، و لم تغفل تلك الكتب من تنبيه الحكام و تذكرهم بضرورة المحافظة على ديار العرب و المسلمين و خير مثال على ذلك ما ذكره ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م) في تدوين هذه الاخبار[٢].

١٣-و مما زاد في أهمية هذه الكتب أنها وردت في ثناياها مصطلحات عديدة على وجود وظائف إدارية عديدة و هذه لها أهمية كبيرة ، لأنها تدل على طبيعة التنظيمات الادارية السائدة في العصور المختلفة و على تحديد المسؤوليات المناطة بالاشخاص .

كما تبين مدى قدرات و قابليات أولئك الاشخاص في ادراة تلك المراكز وولاياتها مثال على ذلك : صاحب المظالم ، صاحب الشرطة ، الكاتب ، الشاهد ، الخادم ، الحاجب ، الوكيل ، المؤدب ، خازن المسلمين ، الوزير ، صاحب البريد ، الوصي ... الخ[٣] .

١٤- نقلت لنا بعض من أخبار الكتب المقدسة لسابقة و أسفارها من خلال ما يدعى بالأسرائليات و المنسوبة الى كعب الاحبار ووهب بن منبه ، و خير مثال على ذلك ما ذكره ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م) و غيره من تلك الاخبار[٤] .

١٥- لم تهمل هذه الكتب بعض الجوانب المهمة في المساهمة في عملية التدوين و كتابة التاريخ حيث ذكرت لنا الاقلام و الاخبار و تطوير صناعة الورق و الخطوط و أنواعها عبر مر العصور العربية الأسلامية[٥] .

١٦- كما أنها لم تغفل من ذكر سير الخلفاء الراشدين و فتوحاتهم[٦] و أخبار تاريخية مهمة كقصيدة أبن عبد ربه .

١٧- دونت لنا أسماء الاسلحة المستخدمة في المعارك و اعطتنا فكرة واضحة في عملية تطور و ظهور صناعة الاسلحة في الدولة العربية الاسلامية و غيرها من الامم[٧] .

١٨- كما ساهمت تلك الكتب في ذكر المواسم الادبية و الحياة الفكرية في عصر ما قبل الاسلام[٨] .

١٩- ترجمت في بعض أعلام النساء التي كان لهن دور كبير في السياسة و الثقافة ومن مثال ذلك فاطمة بنت عبد الملك زوجة العادل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) .

١- ينظر : سراج الملوك: ٣٥٠ – ٣٦٧ .
٢- ينظر : المصباح المضيء : ٤٦١/١ – ٤٦٢ .
٣- ينظر : أبن الجوزي : المصباح المضيء : ٦٦/١ ، ٢٤٤ ، ٤٢٧ ، ٤٦٦ و ٧٥/٢ ، ١٦٩ ، ٢٦٤ .
٤- المصدر نفسه : ١٤٧/١
٥- ينظر : أبن عبد ربه : العقد الفريد : ٢٩/٤ ، ٣٦ ، ٣٧ .
٦- المصدر نفسه : ١٣٦/٤ .
٧- المصدر نفسه : ١٠١/١ .
٨- ينظر : الجاحظ : البيان و التبين : ٣٩/١ ، ٤٢ .

٢٠- ذكرت لنا أخبار الخارجين على خلفاء الدولة العربية الاسلامية حيث قامت بنقل خطبهم و خير مثال على ذلك ما ذكره الجاحظ[١] .
٢١- حفظت لنا بعضاً من السيرة النبوية الشريفة من خلال ذكر سيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) و ذكر معاركه و سراياه و ذكر آل البيت و أزواجه و خلفائه و كتابه و خدمه و عماله و غيرهم .
٢٢- قامت بخدمة جليلة للأنسانية حين أرخت بشكل غير مباشر مراحل تطور علم الطب عند العرب من خلال ذكر الأدوية و العقارات و العلاجات و كذلك ذكرت طبقات الاطباء و كتبهم و أكتشافاتهم .
٢٣- كانت معيناً لا يستغنى عنه الباحثين و المؤرخين في الدراسات الأجتماعية و الاقتصادية و النفسية لمجتمع معين في عصر معين[٢] .

المصادر و المراجع :

- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ) .
١- المستطرف في كل فن مستطرف ، (د. ت) مطبعة الباجي الحلبي مصر ، ١٣٦١هـ .
- أبن الأزرق ، محمد بن علي ، (ت : ٨٩٦هـ) .
٢- بدائع املك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٧م .
- البخاري ، محمد بن أسماعيل ، (ت : ٢٥٦ هـ) .
٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأبن حجر ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ .
- الجاحظ ، عمرو بن بحر ، (ت : ٢٥٥هـ) .
٤- الحيوان ، تحقيق يحيى الشامي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .
٥- البيان و التبين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ، ١٣٨٠هـ .
- أبن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، (ت : ٥٩٧ هـ) .
٦- المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق ناجيه ابراهيم، مطبعة الأوقاف ، بغداد .
- الحارثي ، مربيسي .
٧- العولمة و الهوية ، منشورات جامعة فلاديفيا ، عمان .
- أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد ، (ت: ٤٠٠هـ) .
٨- الأمتاع و النؤانسة ، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، مطبعة لجنة التاليف و الترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٩م .
- أبن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت:٨٠٨هـ) .
٩- المقدمة ، تحقيق خليل شحاذة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١م .
- الراغب الأصبهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد ، (ت: ٥٠٢هـ) .
١٠-محاضرات الأدباءو محاورات الشعراء و البلغاء ، مكتبة الحياة ، بيروت .

١- الجاحظ : البيان و التبين : ٢٩١/٢ – ٢٩٢ .
٢ - ينظر : أبن عبد ربه : العقد الفريد : ٨٢/٤ – ٨٣ .

- الرازي ، محمد بن أبي بكر ، (ت: ٦٠٦هـ) .
١١-مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ربيع ، أروى محمد أحمد .
١٢-الهوية الثقافية العربية في مواجهة العولمة ، مقالة منشورة في مجلة التربية ، الأردن ، ٢٠٠١م .
- الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد ، (ت : ٥٢٠هـ) .
١٣-سراج الملوك ، المطبعة المحمدية ، مصر ، ١٣٥٢هـ .
- أبن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، (ت: ٣٢٢هـ) .
١٤-العقد الفريد ، تحقيق أحمد محمد أمين و جماعة ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
- عبده ، محمد .
١٥-شرح نهج البلاغة بشرح محمد عبده ، منشورات المكتبة الاهلية بيروت .
- أبن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، (ت : ٢٧٦هـ) .
١٦- عيون الأخبار ، دار الكتب العربية ، القاهرة .
- أبن منظور ، محمد بن مكرم ، (ت : ٧١١هـ) .
١٧-لسان العرب ، نسخة مصورة عن مطبعة بولاق .
- هارون ، عبد السلام .
١٨- التراث العربي ، المركز العربي للثقافة و العلوم ، بيروت .
- وجدي ، فريد .
١٩- دائرة معارف القرن العشرين ، دائرة المعرفة ، بيروت .